

ثقافة

إضاءة

كان الكاتب الإسباني، الذي رحل في ملك هذا اليوم قبل أربعة قرون، شبه مفتتح بأن روايته الأخيرة، «الأم بيرسيليس وسيخيسموندا»، ستكون أفضل ما كتب. رغم ذلك، ما يزال كتابه الأشهر، «دون كيخوته»، يلقي بظله على باقي أعماله، حتّى في إسبانيا

جعفر الطوني



رُبّما كان صحيحاً قول المتخصصين، والمقصود هنا المتخصصون في دراسة أعمال الكاتب الإسباني ثرفانتس: «أن تكون ثرفانتسيا أسهل بكثير من أن تكون مفتوناً بثرفانتس». وبالفعل، ها هي التّزى المئويّة الرابعة على وفاة مؤلّف «دون كيخوته دي لا منشا» بحزابه الأول في عام 1605، والثاني في 1615) تمزّ، وما زلّنا نجعل ما بقوله المتخصصون في الأمر، والمعنى هنا، تحديداً،

استرانا مارين وفرانسيسكو ريكو. توفي ثرفانتس في الثاني والعشرين من شهر نيسان/ إبريل عام 1616. أمّا اليوم التالي، 23 نيسان/ إبريل، فقد كان تاريخ الدفن. وعلى الرّغم من أنّنا سنكسر الخطأ نفسه، ونذكّر أنّ ثرفانتس، في هذا اليوم، صعد إلى السماء، برفقة ذلك الفاتن الآخر، شكسبير (توفي أيضاً في 23 نيسان/ إبريل من العام نفسه)، إلاّ أن الأرض تواصل إنتاج أخباره كما لو كان حتّى آخر هذه الأخبار. ظهور الطبعية الجديدة والضخمة مؤلّفه الأخير، «الأم بيرسيليس وسيخيسموندا» التي أشرف عليها ريكو نفسه ضمن سلسلة الكلاسيكيات التابعة لمكتبة

أفضل ما كتبه يده

لا شكّ أن ثرفانتس، في روايته الأخيرة، اراد القيام بتصريح شكليّ يحزّه من ظلم «دون كيخوته». غير أن «الأم بيرسيليس وسيخيسموندا» (الضالّف) ليست كتاباً يتنقّل من يد إلى أخرى، أنّه كتاب صعب، لم تقرأه سوى حفنة، رغم أنّه، كما أشار الروائي خافيير ماراس، «يقوّف على كل أعمال ثرفانتس، بما فيها دون كيخوته». هذا ما اعتقده أيضاً قرّاء آخرون من مقام الكاتب الأزربيت والشاعر خوسيه بيزاميت، موافقين بذلك ثرفانتس نفسه.

مناخبة

الأم بيرسيليس وسيخيسموندا وصيّة ثرفانتس الاخيرة

ما بعد دون كيخوته



تمثال للبرلاس بنقّده لملاتن لدون كيخوته وسانشو، مدريد (Getty)

كان النجاح فورياً، إذ تمّت إعادة طبعته خمس مرّات في العام نفسه، مع ترجمتين إلى الفرنسية وأخرى إلى الإنكليزيّة. حتّى اليوم، عربياً، يكاى يكون هذا الكتاب مجهولاً لدى القارئ العربيّ، إذ لا توجد، بحسب علمي، ترجمة واحدة له. لذلك، بمناسبة اليوم العالميّ للكتاب، الذي يصادف غداً، سنكون، برأيي، أجمل الهدايا وأكثرها قيمة، تقدّم هذا الكتاب للقارئ العربيّ، احتفاءً بثرفانتس أوّلاً، وبذلك الصديق الذي يعلو بالصداقة إلى ذروتها، الكتاب، ثانياً.

تتناول الرواية مغامرات الأيرمين العاشقين بيرسيليس وسيخيسموندا، اللذين كتبت لهما الأقدار أن يوغما برحلة يعبران فيها الجغرافيا الأوروبية من الشمال إلى الجنوب بهويتين مزيفتين (بيرياندر واوريسيتلا)، متظاهرين بأنّهما شفقان، وذلك إغواءً لحبّهما، وهرماً من الأمير ماغسيمنو. في أثناء الرحلة، وعلى الطريق، يعبر الحبيبان أماكن مثاليّة، بدءاً من الجغرافيا الاستثنائية إلى جزيرة باربرا الأسطوريّة وإسبندا وأيرلندا والدنمارك، وصولاً إلى الأراضي المعروفة بالفعل في

سيكون إمّا كمثل أعمايي وإمّا أسوا ما كُتب بالإسبانية

لجا إلى رواية مغامرات نخطّم فيها القوالب التقليديّة

البرتغال وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأخراها روما يتخلّل الطلان على مخاطر عدة تزداد تعقيداتها مع الظهور المستمرّ لشخصيات جديدة على طول الطريق، وتتكتّف الكائد والمؤامرات حتّى أحادها النهائي في روما: يتخطف الفرسانة أوريستلا، ويتعجن على بيرياندرو مواجهة الوحش الخيف مارين

فيتزير. كئُيها ممّا يصلان، أخيراً، إلى أرض الجنوبي، يكتشفان أنّها ليست خالية من الأخطار هي الأخرى، وأنّ ما كُتبت أن تكون أرض الوعد معتلّة بحالات حتّاج يتدنّون بعالم كل شيء يبدو فيه غريباً عمّا وُصف به. قسّم ثرفانتس، لهذا الغرض، الرواية إلى أربعة أقسام: القسمان الأوّل والثاني تجري وقائعهما على نحو رئيس في الأراضي الغربية والبربرية في الشمال. أمّا الثالث والرابع، فتجري أحداثهما في الجنوب، حتّى تنتهي الرواية في روما، «الجنة على الأرض» كما يعبر بطل العمل.

يبدو ثرفانتس في روايته «الأم بيرسيليس وسيخيسموندا» سخطاً من حياته، وأب عمه، على نحو عماد، لذلك قرّر اللجوء إلى الرواية الجيزرنتيّة أو رواية المغامرات، محطماً قولها التقليديّة، وجدّداً في تقنياها من أجل التغلّب على عمّد النوع، وتالياً تطوير عالم سرديّ جديد على طول الطريق، وتتكتّف الكائد والمؤامرات حتّى أحادها النهائي في روما: ينفخطف الفرسانة أوريستلا، ويتعجن على قرّر أن يبدأ مغامرات بيرسيليس من القطعة

نفسها التي انتهى عندها «دون كيخوته». إنّ الرواية الجيزرنتيّة، أو رواية المغامرات، سنسخج له بنقل شخصيّاته عبر مناطق جغرافيّة متنوّعة وجدّابة للغاية. من هنا كان العنوان الفرعيّ للرواية (تاريخ الشمال). كذلك، سنسهل عليه مهمّة التركيبه البديعة التي ابتكرها، وهي ربط الوجود بنسلسلة من العلاقات يكون فيها كل عنصر مرتبطاً بسابقة الغربية والبربرية في الشمال. أمّا الثالث والرابع، فتجري أحداثهما في الجنوب، حتّى تنتهي الرواية في روما، «الجنة على الأرض»

يبدو ثرفانتس في روايته «الأم بيرسيليس وسيخيسموندا» سخطاً من حياته، وأب عمه، على نحو عماد، لذلك قرّر اللجوء إلى الرواية الجيزرنتيّة أو رواية المغامرات، محطماً قولها التقليديّة، وجدّداً في تقنياها من أجل التغلّب على عمّد النوع، وتالياً تطوير عالم سرديّ جديد على طول الطريق، وتتكتّف الكائد والمؤامرات حتّى أحادها النهائي في روما: ينفخطف الفرسانة أوريستلا، ويتعجن على قرّر أن يبدأ مغامرات بيرسيليس من القطعة

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

قصة

لم تعد صور لها موجودة على الجدار

بيت بلا أمّ

في سوريندرن

دعاني هشام لحضور احتفال دخول بيته الجديد، ولم ينس أن يخصّن كلمات وديّة في هامش خطابه، وهو خطاب وصلني بعد فترة طويلة من مغادرتي تلك المدينة. بعد ذلك، لم يلبث أن أتلاشي جسر الوعد بينما حتّى انقطع عني خبره. نعم، يمكنه فيما بعد أن ينقل أمّه الطغيّة إلى داره الجديدة، وقد أحزن قلبه دائماً عمّاهاها في المدينة. حين سكّنت في تلك المدينة، كنا نجتمع في مكان ما كل يوم تقريباً، وكان يتحدث عن الأمّ تعبيثها أمّه الفقيرة.

كان هشام يسكن آنذاك في بيت صغير سنقّى، وكان لا يملك إلاّ رقعة أرض ورثها عن أبيه، بني فيها كوخاً صغيراً. وحين ارتفع سعر الأرض من جراء طفرة نفطيّة حدثت في الدول العربية، أدّت له أمّه ببيعها. لم تكن تدعى إلاّ أن يبني ولها البناى داراً في المدينة، ولو بملك الأموال. وهي التي نذرت أيام عمرها لولدها الوحيد هذا. كان هشام شديد الانزعاج من أنّ أمّه لم تكن تشكو أوجاعها أبداً، حتّى حين كانت تقضي نهارها عاملة في مطابخ الأثرياء. فمّة صورة في بيت هشام معقّلة على أحد جدرانها؛ تمثّل أمّا تحمّل طفلاً صغيراً. كان ذاك الطفل هو هشام. سات زوج أمّي وهي في الثالثة والعشرين. كان ذلك على وجه التحديد قبل مولدي بثمانية وعشرين يوماً. أمك جميلة.

نعم... تلك ما أوجعني دائماً. كنت أعاتب نفسي كلّما تذكّرت أنّ أمي استنزفت شبابها لتزدهن حياتي. لم أكن لأحزن بهذا القدر لو كانت تزوّجت رجلاً آخر.

مؤة واحدة فقط، نهيت مع هشام لأزور تلك الأمّ البائسة، فما رأيت إلاّ طفلاً لجمالها القديم. وانكر أيضاً حديثها معي وهي تضع يديها فوق بدي. نظرت إلى أصابعها المتورّمة التي شوّهتها الفطريّات، وعينها اللتين أصبحتا مسوّتين لوقوفها أمام الفرن وأكبر منه. لكنّه أصغر من خلفته. ضمن هذا الإطار من العلاقات الوجوديّة، يخضع ظهور الشخصيات، من الناحية الأخلاقية، لهذه البنية السردية التي تلخّص وجوداً كاملاً. هكذا تعدو رحلة الوصول إلى روما (الحجّ) ومرزاً لزوال الحياة، وتحوّل شخصيّة الحاج إلى شخصيّة أدبيّة تتلاقى فيها الفضائل المسيحية لغارس العصور الوسطى بالمثّل الكاثوليكيّة لإصلاح الكنيسة، علاوة على المثّل الأفلاطونيّة.

النص الكامل على الموقع الإلكتروني

فعاليات

حتّى 28 نيسان/ ابريل الجاري، يتواصل في **معهد ثرفانتس** بالجزائر العاصمة المعرض الجماهيري **الجزائر ـ ميورقة: آرت كونكت** الذي انطلق في الثالث من الشهر نفسه. من الفنانين المشاركين: مراد عبد اللّوي، وثيسكو بارثيلو، وبيلاز ئيردا، وهادية هجرس، وسعيد رحمانّي، وجمال طالبّي، وميغيل سيباستيان.

يوم الثلاثاء المقبل، 27 نيسان/ ابريل، تنظّم **مؤنسة غرامشي**، عند الخامسة والنصف بتوقيت روما، قراءة تقديمية لـ **رسائل السجّت** التي كتبها المفكّر السياسيّ الإيطاليّ خلال فترة اعتقاله، بين عامي 1926 و1937. يشارك في الجلسة، التي تُبثّ على صفحة المؤنسة على «فيسبوك»، كلّ من جوميا لاهيري، وغيدو ميليس، وغابرييله بيدولا، وسيلفيو بونس، وفرانسيسكو جياشي.

تنظّم منصّة **كونفرانسيا** (فرنسا)، بداية من الأمانة والنصف من مساء اليوم، محاضرة لـ **باربرا لوبيشو**، بعنوان **رحلة إلى الفنون الفارسيّة: من الوردة إلى الفيروز**، تقدّم فيها طيفاً واسعاً من الفنون التي عرفتها إيران على مر التاريخ، أبرزها صناعة الزرابي، والنقوش على الزواني، والرسم على الحرير.

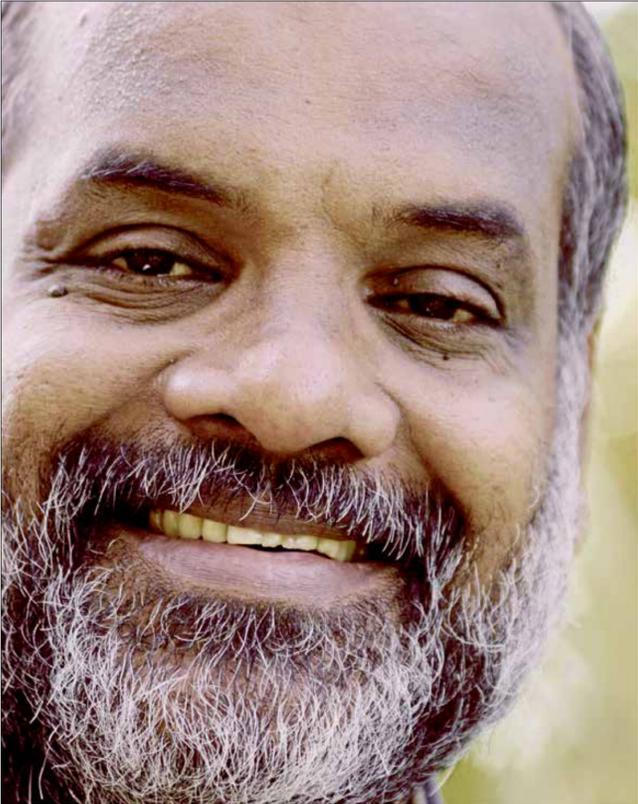
خلال شهر رمضان، تنظّم **دار الكتب الوطنيّة** بونس العاصمة معرضاً لكتب أصدرتها وتتنظّف توثيقاً لمخطوطات وكتب قديمة يصعب توفيرها، ملك **المخطوطات العلميّة للمكتبة الاحمدية** (الأشراف: مهدي عبد الوواد وحمدية الهادفي)، **ويا سلاك الواحليّة** (الشعر الهزلي لبداية القرن 20، جمع الجليليّ العربيّ).

فرصة لتعشّش تحت جناخا هذه الأمّ الحنون حتّى يفيض روحك. نعم يا عمالي... مع ذلك كلّه، قضت السماء أن أفاقر أمي. سيكون كل شيء بخير. نعم، هذه دارٌ يمكن لهشام أن ينقل أمه إليها. كنت أستطيع أن اتخلّل قدر فرحه الشديد وسعادة تلك الأمّ في احتفال دخول البيت الجديد. لكنّ حال دون زيارتي له انهيارٌ جنبي إثر سقوط أمتار غزيرة في تلك المدينة. بعد شهرين من دخوله البيت الجديد، انطلقت إليه لاهنّته بايئمن والبركة.

رُبّما كان من الخير أن أصل إلى بيته بعد زحام المدعوّين إلى الاحتفال. وكانت زوجته ليلي قد جعلت تلك الدار جنةً غناءً. وقد انتهيت إلى دقّتها في وضع الأمتعة في مكانها. وعلى الرغم من أنّها عاشت في غرفة صغيرة، كانت ما رأيت في تلك الدار أمّ هشام. عندما سالتها عنها، أخذ يصف متاعب الحياة وصعابها: «كبر أطفالي، وعندما أخذ كلّ واحد غرفة، ما وجدت أمي مكاناً يضع لها. ولذا حملتها إلى دار المسنّين. حيث أراها تعيش حياة

رغبة، وتزهو مع أترابها. ويمكنني أن اتفدّد أحوالها وأزورها أنّي شئت». نعم، ممّا شنّدي في بيته الجديد غياب صورة الأمّ التي تحمّل طفليها. وضع هشام مكانها صورة كبيرة لذلك الناسك الذي يلبس دانتاً ثوباً أبيض وإكليلاً ذهبياً. وكان تحت الصورة المصنّوخ. أحمر قرص حوله هالات من الأنوار.

(ترجمة من اللبيارية عبد الرشيد الوافي. باحثٌ دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة كاليكوت، بكيرالا، الهند.)



في سوريندرن

مؤة واحدة فقط، نهيت مع هشام لأزور تلك الأمّ البائسة، فما رأيت إلاّ طفلاً لجمالها القديم. وانكر أيضاً حديثها معي وهي تضع يديها فوق بدي. نظرت إلى أصابعها المتورّمة التي شوّهتها الفطريّات، وعينها اللتين أصبحتا مسوّتين لوقوفها أمام الفرن وأكبر منه. لكنّه أصغر من خلفته. ضمن هذا الإطار من العلاقات الوجوديّة، يخضع ظهور الشخصيات، من الناحية الأخلاقية، لهذه البنية السردية التي تلخّص وجوداً كاملاً. هكذا تعدو رحلة الوصول إلى روما (الحجّ) ومرزاً لزوال الحياة، وتحوّل شخصيّة الحاج إلى شخصيّة أدبيّة تتلاقى فيها الفضائل المسيحية لغارس العصور الوسطى بالمثّل الكاثوليكيّة لإصلاح الكنيسة، علاوة على المثّل الأفلاطونيّة.

النص الكامل على الموقع الإلكتروني

فعاليات

حتّى 28 نيسان/ ابريل الجاري، يتواصل في **معهد ثرفانتس** بالجزائر العاصمة المعرض الجماهيري **الجزائر ـ ميورقة: آرت كونكت** الذي انطلق في الثالث من الشهر نفسه. من الفنانين المشاركين: مراد عبد اللّوي، وثيسكو بارثيلو، وبيلاز ئيردا، وهادية هجرس، وسعيد رحمانّي، وجمال طالبّي، وميغيل سيباستيان.

يوم الثلاثاء المقبل، 27 نيسان/ ابريل، تنظّم **مؤنسة غرامشي**، عند الخامسة والنصف بتوقيت روما، قراءة تقديمية لـ **رسائل السجّت** التي كتبها المفكّر السياسيّ الإيطاليّ خلال فترة اعتقاله، بين عامي 1926 و1937. يشارك في الجلسة، التي تُبثّ على صفحة المؤنسة على «فيسبوك»، كلّ من جوميا لاهيري، وغيدو ميليس، وغابرييله بيدولا، وسيلفيو بونس، وفرانسيسكو جياشي.

تنظّم منصّة **كونفرانسيا** (فرنسا)، بداية من الأمانة والنصف من مساء اليوم، محاضرة لـ **باربرا لوبيشو**، بعنوان **رحلة إلى الفنون الفارسيّة: من الوردة إلى الفيروز**، تقدّم فيها طيفاً واسعاً من الفنون التي عرفتها إيران على مر التاريخ، أبرزها صناعة الزرابي، والنقوش على الزواني، والرسم على الحرير.

خلال شهر رمضان، تنظّم **دار الكتب الوطنيّة** بونس العاصمة معرضاً لكتب أصدرتها وتتنظّف توثيقاً لمخطوطات وكتب قديمة يصعب توفيرها، ملك **المخطوطات العلميّة للمكتبة الاحمدية** (الأشراف: مهدي عبد الوواد وحمدية الهادفي)، **ويا سلاك الواحليّة** (الشعر الهزلي لبداية القرن 20، جمع الجليليّ العربيّ).



عنه، وهو عبارة عن اطلال لمدينة رومانية قديمة كانت مزدهرة في القرون الأولى من الألفية السابقة، وعرفت باسم Sufetula، وكانت تمثّل قاعدة عسكرية ذات أهمية استراتيجية بالغة للرومان. فقد كانت تحمي مستعمراتهم في سواحل شمال أفريقيا من خطر القبائل التي تقبع في المناطق الواقعة بين الأراضي الخصبة (التي استولى عليها الرومان) والأراضي الجافة والجبلية.

ما يمكن أن نلاحظه هو تفاوت شهرة الموقعين، فالأوّل غير معروف حتّى في تونس، لكنّه يستمذّ أهمّيّته من كونه يمثل أحد أقدم المواقع الأثرية في منطقة المتوسط، إذ يحتوي على آثار تجعق يشري يعود إلى العصر الحجري القديم. أيّ قرابة مائة ألف عام قبل الميلاد، وقد نتج إرثه ضمن «لائحة اليونسكو للتراث العالمي» تحتشّ الفخريات فيه.

أما الموقع الثاني، فهو موقع سيطة، فهو من أشهر المواقع الأثرية في البلاد، ويعود ذلك إلى الطلب السياحي على الأماكن ذات

تغلب المواقع الأثرية

الرومانية حتّى على

مشاريع الترشيح المقبلة

تولس ـ ليليا بن صالح

منذ أيام، جرى الإعداد «المعهد الوطني للتراث» (هيئة تابعة لوزارة الثقافة) ملفّي ترشيح موقعين أثريّين جديدين إلى «لائحة اليونسكو للتراث العالمي»؛ الأول يعود إلى فترة ما قبل التاريخ ويسمّى «القطع»، ويقع بالقرب من مدينة قفصة في جنوب غرب البلاد، والثاني هو موقع سيطة، غير بعيد



من الائر الرومانية في موقع سيطة (Getty)